الموسيقي السوري حاضر في أهم المسارح الفنيّة الأوروبيّة

إثبات جديد على فرادة الصوت والموسيقا السوريّة

| عامر فؤاد عامر

تترك دمشق لمستها السحريّة الخاصّة في قلوب زوارها ومرتاديها، ولهذا السحر ردود فعل إيجابيّة، تمتلك المقدرة للعيش، ومنها تتوالد ردود الفعل في عالم الإبداع. عام ٢٠٠٨ زار المغني البريطاني المعروف «دايمون البارن» دمشق، وسجّل ألبومه الغنائي بالتواصل مع الأستاذ «عصام رافع» ومع ١٠ من الموسيقيين السوريين، وبالاشتراك مع هؤلاء الموسيقيين، قام بجولة عالميّة مع فرقته الأساسية التي تدعى «الغوريلاز» وقرروا اختتام هذه الجولة في دمشق في آخر حفلة لهم عام ٢٠١٠.

القصة من جديد

تأثر «دايمون البارن» بدمشق وأهلها، وكان صدقه أن دفعه من جديد ليتواصل مع الموسيقيين والعازفين فيها، ليطرح فكرة دعوتهم إلى بريطانيا وإقامة حفلة هناك، وكان دافعه في ذلك أن الحرب صدّرت مشهداً لا يليق بالشام، على أنها بلد مملوء بالحرب والدّمار، ويقول بأن هذه البلد تركت في قلبه الكثير من الحبّ، لذلك كان تواصله مع «عصام رافع» من جديد في تنظيم مجموعة من الحفلات في عدّة دول أوروبيّة، إثباتاً أن أبناء هذا البلد الجميل ما زالوا قادرين على تصدير الجمال والإبداع، على الرغم من الحرب. فكان الاتفاق في جمع أكبر عدد ممكن من الموسيقيين السوريين، وبذلك تمّ الاتفاق على سفر ٤٠ موسيقياً، ٣٠ منهم من سورية، و١٠ من بلدان مختلفة، وهو عدد أوركسترا كبير. ولأوّل مرّة يتمّ حضور فرقة موسيقيّة بهذا العدد كضيفة على المهرجانات التي شاركت فيها.

تنظيم السفر

تمّ تنظيم أمور السفر كلّها على الرغم من الصعوبات التي باتت معروفة في سفر أي مواطن سوري إلى أي بلد في العالم إلا أن ذلك الأمر تمّ تجاوزه بإصرار بعد مرور ٦ أشهر. لكن في النتيجة وبعد الجهود التي بذلها أ.«عصام رافع» من أميركا وأ.«رشيد هلال» في سورية لاختيار الموسيقيين وتحضير برنامج الجولة، لم يحصل «عصام رافع» على تأشيرة السفر، ولذلك تقرر أن يقود الفرقة «رشيد هلال» وهو الكونسيرت ماستر بين الموسيقيين.

> ردة فعل الجمهور كانت مدهشة وفي بعض الحفلات بقي الجمهور مكانه والمطر مستمر بالهطل على مدى ساعتين

٥ حفلات

كان الحفل الأول في هولندا بأمستردام على مسرح الكاريه بحضور الملكة الهولنديّة السابقة، والحفل الثاني في ريف بريطانيا في غلاستنبري، والثالث في بريطانيا أيضاً في العاصمة لندن، في القاعة الملكيّة، والرابع في تركيا في اسطنبول، والخامس في الدانمارك في روسكيلد، وكان من المقرر أن يكون هناك حفلٌ سادس في ألمانيا في كولن لكن تمّ إلغاء المهرجان لأسباب تتعلق بتنظيم المهرجان. وفي النهاية أكملت الأوركسترا المؤلفة من ٢٠ مطرباً و٢٠ موسيقياً جولتها وعادوا من ألمانيا إلى سورية.

من البرنامج

قدّمت الفرقة موشحات سوريّة، ووصلة من الأغنيات التراثيّة السوريّة، إضافة لكثير من الأغاني الأجنبية مع هارموني عربي وشرقي خاصّ لهذه الأغنيات، والفرقة قدّمت مقطوعات موسيقيّة سوريّة، مثل «سماعي بيّات» لـ«حسان سكاف» و«دمشق القديمة» لـ«عاصم مكارم» و«على عجلة» لـ«عصام رافع». وكان هناك ضيوف على الفرقة شاركوا في بعض الحفلات تمّت دعوتهم من الشركة المنظمة للحفل وهم من «السنغال»، و«مالي»، و«موريتانيا»، و«الجزائر»، و«تونس»، و«لبنان»، و«بريطانيا» وهذا ما يدل على ديناميكيّة ومرونة العازف السوري في الاندماج والتأقلم مع جميع الأنماط الموسيقيّة في العالم.

جمهور أوروبا يهتف سورية

أثبتت الفرقة جدارتها بتقديم أجمل صورة عن السوريين، وردة فعل الجمهور كانت مدهشة وفي بعض الحفلات بقي الجمهور مكانه والمطر مستمر بالهطل على مدى ساعتين، والمسارح ضخمة ومفتوحة، وفي لحظات سكوت الموسيقا هتف الجمهور «سورية» مرات ومرات، وقد وصل عدد الجمهور لأكثر من ١٧٥ ألف متفرج في المسرح الواحد.

مفارقات

مايميّز هذه المهرجانات هي أنها من أهم المهرجانات الموسيقيّة في تلك البلاد الأوروبيّة «هولندا، بريطانيا، تركيا، الدانمارك، ألمانيا» ومن الملاحظ أن أي موسيقي في أوروبا يحلم أن يكون له مشاركة على مسارح هذه المهرجانات. وكتكريم للسوريين كان شرف افتتاح كلّ هذه المهرجانات للأوركسترا السوريّة. لكن المفارقة تأتي في عدم اكتراث الصحافة العربيّة والمحليّة بكلّ هذا النشاط على حين الصحافة الغربيّة وتغطياتها الإعلاميّة كانت كبيرة وكثيرة على أنواعها المرئيّة والمسموعة والمكتوبة كافة، فقد واكبت كلّ شيء من لحظة وصولهم للمطار واستقبال المطرب «دايمـون» لهم والمنظمين من شركة «أفريكا إكسبرس» التي سهلت أمور سفرهم وتنقلاتهم.

ميس حرب

تقول الفنانة «ميس حرب» وهي من المطربات اللواتي شاركن في الحفل: «المميز بالنسبة لي كان في حفل أمستردام الذي قدّمت فيه أغنية من تراث السوداء، بتوزيع أوركسترالي قام به «رشيد هلال». ولن أنسى لحظات انفعال الجمهور، وردّة الفعل الرائعة على الأغنية، أيضاً الحفلات الأخرى كان لكلّ منها طابع مميّز وجميل، والمهم أننا قدّمنا صورة حضارية بتواصلنا مع الناس هناك، الذين صفقوا وهتفوا وفوجئوا بما قدمنا، فكانت فرصة مهمّة للجميع بتصدير موسيقانا السوريّة، وتقديم سورية بالصورة اللائقة التي تستحق».

باسل صالح

أمّا الموسيقي «باسل صالح» وهو من المشاركين أيضاً فيضيف عن هذه التجربة: «قدّمنا للعالم صورة حقيقية عن الشعب السوري من خلال هذه الحفلات، فكانت صورة حضاريّة ثقافيّة، فاليوم معظم الشعوب الأوروبيّة تعتقد أن السوريين يعيشون في الصحراء بعيداً عن كلّ أشكال التطوّر. وقد ذُهلوا عندما سمعوا موسيقانا، والطريقة الاحترافيّة التي قُدّمت بها، وقدرتها وقدرتنا على مواكبة كلّ أنواع الموسيقا في العالم، أمّا بالنسبة لي فقد تعاملت مع أنواع جديدة من موسيقا الشعوب من خلال عملنا مع جنسيّات مختلفة، وللمرّة الأولى، وهذا يوسع إدراك الفنان ويصقل أداءه الفني ويطوّره».

رشيد هلال

الموسيقي «رشيد هلال» الذي قاد الفرقة عبر جولتها يقول: «من الضروري اغتنام أي فرصة لنشر ثقافتنا بشكل عام، وموسيقانا بشكل خاص في جميع أنحاء العالم، ولاسيما ضمن ظروف الحرب التي نعيشها، لأن هناك اعتقاداً عالمياً خاطئاً حول سورية في الوقت الراهن، أنها أرض حرب ودمار وقتل. هذا ما استطعنا تغييره ونفيه من خلال جولتنا مع أوركسترا الموسيقيين السوريين، ضمن خمس حفلات بأربعة بلدان هي: هولندا، وبريطانيا، وتركيا، والدنمارك، وعلى أهم المسارح وأضخم المهرجانات، حيث قمنا بنشر الموسيقا السوريّة الأصيلة، بالإضافة لأدائنا بعض القطع المزوجة بين الموسيقا العربيّة والغربيّة، وهذا ما تطلّب حرفيّة عالية بالعزف، وإن دلّ على شيء فهو يدلّ على أن الموسيقيين في سورية ما زالوا مستمرين في التدرب والتطوّر والإبداع. على الرغم من كلّ ما تشهده البلاد من مصاعب، فقد استطعنا تسليط الضوء على الجانب الحضاري والمشرق في بلدنا الغالي سورية».

تجربة تطبيق علوم التنمية البشرية في المدارس

| سوسن صيداوي

جرت العادة بأنه مع موت الحروب بأزماتها ومآسيها وأوجاعها بزوغ ثقافات ناشرة لمفاهيم تدعو إلى ضرورة التمسك بالأمل مع الحياة، بأهمية الشجاعة لإغلاق صفحات الماضي والعيش بكل يوم على أنه صفحة بيضاء مع التعود على الكتابة عليها بكلمات تحمل مضامين تبعث على الراحة والسرور في النفس، هذا الكلام ليس خياليا وبعيداً عن الواقع كما أنه ليس بنظري وللتأكد هيا لنعود إلى الماضي إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فبعد الصدمة التي دامت طويلا لهول ما ألحقت هذه الحرب من ويلات ودمار، استيقظت الدول سواء المشاركة فيها أو الخاسرة على دمار بشري واقتصادي وعمراني، بل الأهم من ذلك يمكننا القول بأنها استيقظت على دمار شامل للمجتمعات وانكسارات مرعبة للنفسية البشرية، هذه الصحوة تبعتها حركات جديدة تسعى لتطوير العملية الاقتصادية ومن ثم أعقبها حركة للتنمية البشرية لضرورة توسيع خيارات البشر من خلال تطوير قدراتهم في المجالات كافة بهدف أن يكون البشر قادرين على العيش حياة مديدة وصحية فكريا ونفسيا وجسديا مع القدرة على إثبات الذات والوصول إلى مستوى لائق من المعيشة.

واليوم ونحن في عامنا الخامس للأزمة السورية وفي خضم هذه الحرب التي تكالبت فيها معظم دول العالم على وطن غال، هنا المطلوب منا حمل أسلحة ولكن هي من نوع مختلف تماماً عما هو معروف، فعلينا التسلح بالأمل وبواقع استمرار الحياة وغيرها من المدّعمات الإيجابية التي تعزز أهمية النظر إلى المستقبل فقط... لضرورة البناء، هل هذا كلام تنظيري بعيد عن الواقع؟

الجواب ربما سيكون على الشكل التالي... طالما نحن هنا فبالنتيجة أطفالنا هنا والأمر الذي يقتضي بالنهاية، ولأجلهم بالذات، سيكون هنا مستقبل وبناء.

صناعة الحياة... علم

تحكم السلوك البشري الكثير من الأمور الاجتماعية والإنسانية والمحرمات وغيرها من الأمور ولكن الأهم هو العادة.. فحسب عاداتنا تكون حياتنا وينعكس عليها النجاح أو الفشل، واليوم وبما أن كل ما هو محيط يشكل عائقاً لأمور عديدة كالوقت والذهاب إلى العمل أو الجامعة أو حتى القيام بأبسط الأمور والتي كانت تمتّعنا وتعزز من وجودنا قبل الأزمة ولكنها اليوم ربما تكون عند الكثيرين شبه مستحيلة أو بلوغها يتطلب الصبر الكبير والجهد المضني، إلى هنا لم تتوضح الصورة وما أقصده وأريد التركيز عليه هو ما أورثت هذه الأزمة بظروفها من عنف وقسوة وفظاظة قريبة جداً من انعدام الأخلاق والآدب عند الكبار بالعموم وبالخصوص، وللأسف الشديد، عند الصغار، مديرة مشروع نسور سورية التطوعي ديما الشام «كلنا اليوم بسورية وبسبب الظروف الحالية نخضع للضغوط والتوتر وأنا على الصعيد الشخصي لجأت لعلوم التنمية البشرية كي أزيل الطاقة السلبية والتوتر وفعلا استفدت جدا، ومن هنا فكرنا بضرورة نشر هذه العلوم كي يستفيد أكبر عدد ممكن من الناس، لذا تواصلت مع مجموعة من المدربين بهذا المجال وقررنا أنه علينا أن نبدأ من المدارس لأن الأطفال من أكثر المتأثرين بهذه الأحداث وهذا الأمر واضح من الطريقة العنيفة التي يتم التعامل مع بعضهم فيها سواء بالكلام أو التصرفات، وفعلا تم التواصل مع وزارة التربية وكان لنا اجتماع مثمر مع معاون وزير التربية وقررنا من خلال الاجتماع أن هذه الفكرة ستكون بداية كمرحلة تجريبية لنرى مدى تأثير هذه العلوم في الطلاب ومن خلالها سنقيس نجاح الفكرة كي يتم تعميمها في حال نجاحها في السنة القادمة».

لا تعط السمكة... بل علّم الصيد

نعم تبنت الكثير من دول العالم المتقدمة علوم التنمية البشرية لأنها عملية تطوير للقدرات البشرية والتعليمية والخبرات، كي يستطيع البشر التمتع بحياة مريحة وفعالة نوعاً ما، من خلال مواجهة الضغوط وتجاوز المصاعب والسعي مهما بلغ المرء من عمر إلى تجنب الإحباط أو التقاعس، هل ما زال هذا الكلام تنظيرياً وبعيداً عن الواقع؟... ربما يكون كذلك ولكن طالما نحن مكب استهلاكي لكل ما لديهم من أفكار وسلوكيات ومنتجات إذا هم السبّاقون ونحن من نلهث وراءهم متعبين فقط لمجرد الاستفادة من تجاربهم، وإلى الآن هي من قبلنا مجرد محاولات وطبعا برأي الكثيرين المحاولة أفضل بكثير من الاكتفاء بالوقوف والتفرج، مديرة مشروع نسور سورية التطوعي ديما الشام قالت بأن هذه الفرصة التي منحتها وزارة التربية جيدة رغم أن الأمر ليس بالسهل أبدا ومضيفة «لقد اخترنا من ثلاث مدارس ثلاثة صفوف من مراحل عمرية مختلفة صف خامس، ثامن، وحادي عشر، وذلك بغرض ملاحظة المستوى بين هذه الصفوف المختارة وبين باقي صفوف المدرسة، كما تطلبت منا هذه التجربة اجتماعنا مع أهالي طلاب الصفوف والكادر التدريسي كي نطلعهم على الشيء الواجب اتباعه مع أولادهم في المنزل حتى نستطيع تحقيق التكامل ونضمن النتيجة، والأهم بأننا انطلقنا بتعليم الطلاب سلوكية منهجية كي يصبحوا أكثر محبة لأنفسهم وللآخرين وكي يتعلموا العطاء، إضافة إلى تمارين تزيد من قوة التركيز والتنفس الصحيح ومنع تحدب الأكتاف بسبب الجلوس الطويل بالمقاعد وغيرها الكثير من التمارين المفيدة لصحتهم والتي بطبيعة الحال يمكنهم اتباعها في حياتهم، وليس هذا فقط بل نحن نتوجه من خلال اليوغا وعلوم التنمية البشرية إلى تعليم التلاميذ كي يحددوا أهدافهم وكيف يحققونها، مع تدريبهم على تقدير الوقت وحسن تنظيمه وإدارته بين الدراسة والنشاطات، والتأكيد على ضرورة تطوير المواهب من خلال الابتعاد عن التفكير السلبي والتركيز على الفكر الإيجابي».

العادة بالوقت... تُكتسب

إنها التجربة الأولى من نوعها في المدارس وكل ما هو جديد هو لافت للنظر، وهذه الخطوة ليست بالبساطة فهي تحتاج إلى وقت طويل كما أنها تحتاج إلى تدعيم من خلال المناهج وما يتم تدريسه وأهمية تقبل المفاهيم الجديدة التي يتم طرحها من خلال علوم التنمية البشرية كي لا تكون هناك حلقة مفقودة، مديرة مشروع نسور سورية التطوعي ديما الشام «طبعاً الشيء الذي ساعدنا بسرعة في تطبيق التجربة هو تجاوب الوزارة والمدارس والمدرسين معنا، والصعوبة الوحيدة التي كنا نتوقعها هي عدم تقبلهم فوراً لهذا الموضوع الذي يعتبر جديداً عليهم، وهذا بالفعل ما واجهناه بالصف الثامن وفي الدروس الأولى ولكن حالياً وبعد مرور شهر على التجربة بدأ التلاميذ يشعرون بفائدة الموضوع ويتعاونون مع المدربين ويستجيبون للتمارين، وما شد من عزيمتنا في هذا المشروع هو آراء الكادر التدريسي والإدارة الذين أكدوا حسن سلوك الطلاب والتجاوب السريع رغم المدة القصيرة».

محاولة واحدة لا تكفي

إذا أردنا تحقيق الأهداف فعلينا بالتمرين والاجتهاد، فإصلاح الأمور وتهذيب السلوك واكتساب المرونة وتعليم الصبر لا يمكن أن يكون برفة عين ولا حتى بتناول جرعة سحرية، إذا لابد لنا من تكرار المحاولات وللعديد من المرات للوصول لما نريد، مديرة مشروع نسور سورية التطوعي ديما الشام «التعاون قائم مع وزارة التربية وهي جادة لتسهيل أي صعوبات ممكن أن يتعرض لها المشروع، كما سيكون في نهاية العام الدراسي الحالي استبيان لمعرفة التغييرات التي طرأت على الطلاب بمشاركة المدرسين والموجهين الذين تم اختيارهم كمساعدين في الاستبيان وفي حال نجاح هذه التجربة سيتم تعميمها في المدارس ليتم بعدها إدراجها للجامعات، وكلنا طاقة إيجابية وتفاؤل بأننا سنصل إلى نتيجة مهمة نقدر من خلالها أن نقدم شيئاً مفيداً لهذا الجيل الذي للأسف نشأ خلال الأزمة وعكست عليه كل مآسيها وأوجاعها».